



## المرأة الرافدية في عهد السومريين و الكلدانيين و الاشوريين

د. فائز سعيد

نقلا عن مجلة "بابل" الصادرة في استراليا

لقد واجهت المرأة الشرقية عبر التاريخ ظلم مزدوج . الأول هو الظلم الواقع على الطبقات الدنيا والضعيفة التي هي جزء منه . الثاني هو ظلم الرجل كونه الأمر الناهي والسيد المطاع . فقد كانت المرأة الرافدية تقتل ضيقا عند حدوث الحصار تخلصا من أطعامها . أما نظرة الديانة اليهودية اليها فهي أمر من الموت ( حسب سفر الخروج ) . وجاءت الديانة المسيحية لتطالبها بالخضوع لزوجها كما للرب . أما الديانة الإسلامية فقد طالبتها بالسجود لزوجها ( عندما تموت المرأة وزوجها راض عليها تدخل الجنة ) .

هذه مقتطفات من حياة مليئة بالألم والمعاناة والقسوة لما حصدهته المرأة عبر التاريخ القديم قبل أن تتجلي عنها تلك الغمامة وتأخذ معاناتها من المجتمع لاسيما في العقود الأخيرة من القرن الماضي .

والكثير من الناس قد سمع عن تلك المظالم التي جَهِزها المجتمع للمرأة . لكن القليل منهم من قرأ أو عرف بتفاصيل تلك الأحداث وحيثيات تلك القصص المأساوية التي نسجتها يد الرجل منذ بدء العهود الغابرة .

في هذا العدد سنسلط الضوء على معاناة المرأة الرافدية لنسجل طبيعة الحياة التي كانت تعيشها المرأة السومرية في الألف الخامس قبل الميلاد ، كذلك الكلدانيون في الألف الثالث ، او القوانين الجائرة التي سنت وطبقت من عهودهم على المرأة ، الى الاشوريين عند حكمهم بلاد الرافدين من مطلع الألف الاول قبل الميلاد وما عرف عنهم من قسوة وبطش تجاه المرأة .

يبدو أن سلطة الرجل أيام السومريين لم تكن قد هيمنت كلياً . من هنا نرى أنهم قالوا بأن الإنسان (الرجل والمرأة) هما اللذان ارتكبا الخطيئة الاولى ، حيث خلقت الالهة الإنسان منعماً سعيداً لكنه أذنب وأرتكب الخطيئة وليس بأغواء المرأة له . إذن لم يحملون المرأة وحدها وزر الخطيئة ويلبسون ذنباً لا يغتفر ابداً كما فعلت اليهودية حيث مازالت المرأة عندهم تعاني من ثقل تلك الخطيئة وقد كان للسومريين آلهة نساء . فكانت " أيفني " العذراء والهة الارض وننكر ساج آلهة مديننا " اكش و اكش " حيث تشفع لهم وكانت الالهة " بو " راعية " اكش " ونصيرتها . ومن نساء " آلهة كلدان " كانت ، " آيا " زوجة الاله شمس و " أشتار " أي عشتار و " بابا " باو ، و " ننا " القمر ، و " تيمات " الالهة المهولة . وتتجلي مكانة المرأة لتتعم بالدعاء الكلداني الموجه للالهة عشتار :

نتوسل اليك ياسيدة السيدات ، بالهة الربات ياعشتار أنت نور الدنيا ونور السماء . بأبنة "سن" العظيم الاما أعظم قدرتك ، وما أعظم مقامك فوق الالهة أجمعين . اليك تخضع قوانين الارض والسماء والهيكل والاضرحة . حيث اذا تطلعت الجحيم تعود الحياة الى موتاهم ، ويقوم المرضى ، ويمشون ، ويشفى عقل المريض اذا نظر الى وجهك . بعد ذلك تحولت الالهة تدريجياً الى الرجل وأصبح العرف الاجتماعي والأخلاقي والقانون يختلف على الرجل منه على المرأة .

فكانت المرأة في العهد الكلداني أقل منزلة من الرجل من مختلف جوانب الحياة . فكانت عقوبتها " الموت " إذا أهملت شؤون بيتها ، أو أساءت تدبير أمور البيت ، بينما الرجل لا يعاقب في عهدة الزوج بالرغم من زواجه من أخرى . وتطلق إذا رغبت من الطلاق ويرد لها المهر في هذه الحالة .

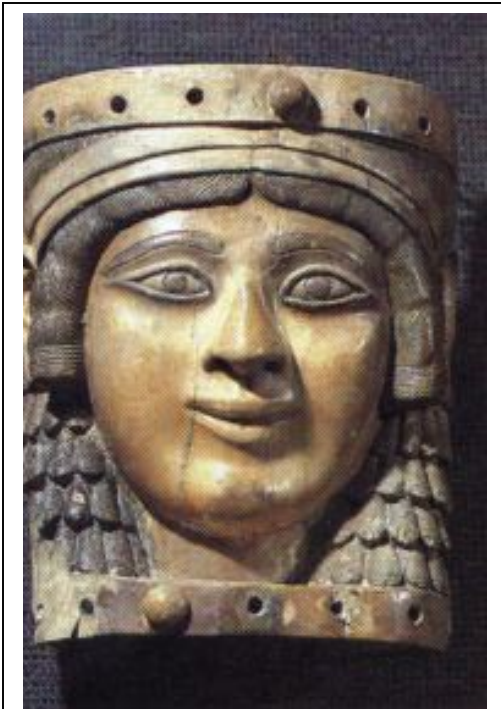
وكان الكلدانيون أول من نفذ الموت " خنقا " بزواجهم تخلصاً من أطعامهم في حالة فرض الحصار عليهم . وعند مجئ الديانة الأشورية أصبحت سلطة الرجل مطلقة حيث الأب ويأتي من بعده الابن الأكبر . وكان للأب حق بيع البنت كذلك الابن الأكبر . وكان الأب يفرض على البنت الزوج الذي يريده . وكانوا يقدمون بعض المال

مهراً للزوجة وهي صورة مشابهة للمجتمعات البدائية . وكان يعاد المهر في حالة الطلاق . ولأن مهراً يشبه ثمنها فكان لوالد الزوج الحق من أن يزوجه بعد وفاة ابنه لمن يرغب من أبناءه . كذلك كان للزوج الحق من رهن زوجته لقاء دين لمدة قد تصل الى ثلاث سنوات أو أكثر . أما المرأة الزانية فكانت عقوبتها الموت غرقاً . لكن يترك للزوج أمر العفو عنها إذا رغب ذلك . وكان الزاني لا يعاقب بالموت إلا إذا اغتصب امرأة ، أو قبض عليه مثلثاً بالزنى فيلقى بالنهر فإذا استطاع النجاة يعفى عنه . وكان للأب الحق من عرض بناته للدعارة طلباً للمال إذا جابه الفقر .

ومن أقسى القوانين على المرأة هو قانون الأعدام إذا أجهضت . لأنهم كانوا يرون أن من واجبها الرئيسي هو أنجاب الأطفال . وكان للزوجة حق الطلاق في حالة عدم توفير الرجل وسائل العيش للبيت الزوجي . وتستطيع المرأة أن تطلق زوجها الأول وتتزوج بأخر إذا غاب عنها سنتين . لكنها تعود اليه بعد عودته على شرط أن يدفع مهراً الذي تسلمته من زوجها الثاني . كذلك كانت المرأة تطلق إذا كانت عقيماً أو زانية . وبالنسبة للميراث كانت المرأة ترث الربع فقط . ويبقى لها إذا بقى في بيت الزوجية ، وتحرم منه إذا تزوجت حتى في حالة وقوع زوجها في الأسر . وكانت الديانات الرافدية تحظر على المرأة الخروج من منزلها بدون غطاء الرأس . وكانت الفئات الميسورة تخصص في منازلها الحراس والخدم الخصيان .

هذه الأعراف والمفاهيم الاجتماعية السائدة بخصوص المرأة الرافدية جاءت شريعة حمورابي لتحددها كقوانين ملزمة وكما يلي :-

- 1- يلقي " الرجل والمرأة " في النهر إذا أمسكا متلبسين بالزنا .
- 2- يقتل الرجل في حالة اغتصابه لبنت مخطوبة عذراء .
- 3- إذا أسر الزوج وكان قد ترك في بيته ما يكفي من مؤون للعيش ، وتزوجت امرأته بأخر فتلقي في النهر . أما إذا لم يترك لها ما يكفي من الزاد فلها الحق بالزواج .
- 4- يطلق الزوج زوجته التي تحمل منه ، بشرط رد مهراً الذي أحضرته من بيت أبيها .
- 5- للزوج الحق من طلاق امرأته في حالة تركها البيت وأهماله بسبب الذهاب للعمل .
- 6- يحق للمرأة طلاق زوجها وأخذ مهراً إذا كان ماضيها حسناً وكانت ربة بيت صالحة . أما إذا تسببت في الحط من قيمة زوجها فترمي في النهر .
- 7- يجوز لوالد الزوجة استعادة مهر أبنته المتوفاة والتي لم تتجب اطفالاً .



عشتار ("إثانة" عند السومريين) هي آلهة الحب و الحرب عند الكلدان البابليين و عند الاشوريين